الفصل الثاني عشر
تطورات الفكر الزيدي من القرن ١٠هـ-١٢هـ

زيد المرتضى المحظوري
أستاذ شريعة وقانون، جامعة صنعاء، رئيس مركز بدر العلمي، صنعاء، اليمن
almahatwary@yahoo.com

المقدمة:

عند تَلَمُّسِ الجوانب المهمة للمذهب الزيدي في فترة زمنية معينة من (٩٠١-١٢٠٠هـ) لا بد من الإشارة إلى الوضع الفكري للفترة التي سبقتها، لأن المذهب الزيدي انحصر جغرافيًا في الفترة الأخيرة في شمال اليمن. وهناك فرق بين دراسة جوانب فكرية لمذهب جامد وُضعت أسسه وجوانبه قبل قرون، فيسهل رصد أي ملامح اختلاف إيجابًا أو سلباً لأي زمن، والمذهب الزيدي القائم على الاجتهاد، الذي يكاد يكون في حركة تجدد مستمرة. أما تعدد الآراء في داخل المذهب فيشكل العشرات مع بقاء العناوين العريضة محل إجماع علماء وأئمة المذهب سابقاً ولاحقاً، مثل عقيدة أهل العدل والتوحيد وغيرها، ولهذا سنتطرق إلى المعالم العريضة للمذهب، وشخصية الإمام المنصور بالله القاسم ابن محمد، وبجانبه الإمام أحمد بن محمد الشرفي من زاوية، والإمام محمد بن إسماعيل الأمير ومن انحاز إلى مدرسته من زاوية ثانية؛ لظهور المدرستين في هذه الفترة الزمنية؛ ولأن أقطاب المدرستين ذوو جذور زيدية.

أولاً: في جذور النشأة التأريخية

من المتفق عليه أن الجذور تعود إلى الإمام علي (عليه السلام)، وأتباع نهجه في تطبيق ما تلقاه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

والنسبة إلى الإمام زيد هي نسبة انتماء واعتزاز، و لم تكن نسبة مذهبية. يقول الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة في الشافي: واختصت الفرقة هذه من العترة وشيعتهم بالزيدية، وإلا فالأصل علي عليه السلام والتشيع له؛ لخروج زيد بن عليٍّ على الظلمة، فمن صوبه من الشيعة، وحذا حذوه من العترة فهو زيدي بغير خلاف بين أهل الإسلام.

وقال الإمام الكامل عبد الله بن الحسن: العَلَمُ بيننا وبين الناس علي بن أبي طالب، والعَلَمُ بيننا وبين الشيعة زيد ابن علي. ولهذا النهج معالم بارزة:

١- متعلق بالإيمان بالله، والإيمان مرتكز على ما ورد في الكتاب والسنة، إلا أن صفات الله العظمى من القدرة، والعلم، ونحوهما هي صفات ذاتية؛ بمعنى أن صفة الله هي عين ذاته وليست شيئًا زائدًا، كما يقول آخرون بأن الله تعالى شيء وصفته شيء آخر زائد عن الذات المقدسة.[١] ومن المعروف أن مسألة الصفات صارت متشعبة معقدة، ودخل فيها النَّبْزُ بالتعطيل لمن قال: صفةُ الله عَيْنُ ذاته، وهو نَبْزٌ في غير محله، فلا أَحَد ينكر صفات الله، وإنما هو تفسير يُجنب المحاذير المترتبة على قول من قال بزيادة الصفة؛ إذ يلزم من زيادتها أن تكون حالّةً في الذات؛ فتكون الذات المقدسة ظرفًا ومحلاً، وهذا محال، ويلزم الإجابة عن السؤال العقلي: هل الصفة الزائدة، قَبْلَ الذات، أو معها، أو بعدها؟ فيلزم أن تكون صفة القدرة مثلاً خالقة للذات إن تقدمت، وذلك محال، ويلزم تعدد القدماء إن كانت مقارنة للذات وذلك محال، ويلزم أن تكون الذات عاجزة قبل وجود القدرة إن تأخرت وذلك محال، وإزاء هذه الإشكالات قِيلَ بوحدانية الذات والصفات، فاشتهرت الزيدية لأجل ذلك بأنها مذهب التوحيد. والمراد ما ذكرت من أن الصفات هي الذات.[٢]

٢- تنزيه الله عن الرؤية دنيا وآخرة؛ لأنها تقتضي مرئياً وهو: إما جِسْمٌ، أو عَرَضٌ، والله ليس كمثله شيء، وقال تعالى: ﴿لاَ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ﴾ (الأنعام:١٠٣).

وَيُبْطِلُونَ ما جاء من الروايات في إثبات الرؤية؛[٣] لمصادمتها هذا النص المحكم، ولنص مثله في التنـزيه

هو قوله تعالىٰ: ﴿وَلاَ يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ (طه:١١٠) ولو جازت رؤيته لكانت طريقًا إلىٰ العلم، فهو تعالىٰ فوق توهم المتوهمين، ووصف الواصفين.

فالله تبارك وتعالىٰ ليس بشخص فتجاهره الأبصار، ولا هو صوت فتعيه الأسماع، ولا رائحة فتشمه المشام، ولا حار ولا بارد فتذوقه اللَّهوات، ولا ليّن ولا خشن فتلمسه الأيدي؛ لأن الله سبحانه خلق الأيدي وما لمست، وخلق الأبصار وما جاهرت، والأسماع وما وعت، والمشام وما شمت، واللهوات وما ذاقت. فهذه الخمس الحواس المُدْرِكات كلها مخلوقات، مجعولات محدثات، ليس فيها شيء يشبه الله، ولا الله عزَّ وجلِ يشبه شيئاً منها؛ ولذلك قال تبارك وتعالىٰ: ﴿لاَ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (الأنعام: ١٠٣)؛ لأن ما وقع عليه البصر فمحدود ضعيف؛ تعالىٰ الله عن ذلك علواً كبيراً.

ويحملون ما ورد في القرآن من إثبات الوجه علىٰ الذات، واليد علىٰ القدرة أو النعمة، ومعنىٰ ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ (القمر:١٤)، ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي﴾ (طه:٣٩) العناية والرعاية.

٣- مسألة العدل:

والملمح البارز المهم في هذه المسألة أن العباد مخيرون في أفعالهم، قادرون علىٰ فعل الخير والشر بفضل أدوات القدرة التي منحهم الله تعالىٰ، ولا يعني أنه راض بالمعاصي التي يختارونها، لأنهم ابتلاهم بحرية الاختيار ﴿فَمَنْ شَآءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ (الكهف:٢٩) ثم إنه لم يُعْصَ مغلوباً، إن أمره تخييراً، ونهيه تحذيراً. وهناك من يقول بأن العباد مجبرون علىٰ أفعالهم، مسيَّرون لا مخيرون ولا يستطيعون فكاكاً ممَّا قدره الله عليهم، ومن هؤلاء يقول بالجبر الخالص، وأن الإنسان كالورقة في مهب الريح، والقلم في يد كاتب، ومنهم من استبشع هذا القول وأثبت الكسب فقال: فِعْلُ العبد خَلْقٌ لله كَسْبٌ للعبد، ووقع القائلون بالكسب في حيرة معرفة الكسب، فما دام فِعْلُ العبد خلقًا لله فما معنىٰ الكسب؟ وما فائدته؟[٥]

وقد كان الإمام زيد بن علي رضوان الله عليه علىٰ رأس أئمة آل البيت عليهم السلام الذين تصدوا بحزم لهذا العِوج الفكري، وكان رأي الإمام زيد هو لسان أئمة أهل البيت وسنانهم وإمامهم أن القول بالجبر يحمل أخطاراً مهلكة، وأخطاءً مدمرة:

الخطأ الأول: نسبة الباري جل وعلا إلىٰ الظلم؛ لأن مؤدىٰ القول بأن الله خلق أفعال العباد كما خلق أبدانهم وألوانهم ثم تعذيبهم علىٰ المعاصي التي هي من خلقه ظُلْمٌ ما بعده ظلم، لأنه ظلم القوي القاهر للضعيف العاجز، والتعلل بأن الله يفعل ما يشاء في عباده، فهم مِلْكُهُ، وهو يتصرف في ملْكه، وهذا خطأ آخر؛ لأنه تجاهل لقوله تعالىٰ: ﴿وَلاَ يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ (الكهف:٤٩)، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلاَّمٍ لِلْعَبِيدِ﴾ (فصلت:٤٦)، ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (النحل:١١٨).

الخطأ الثاني: فتح الأعذار للعصاة بأنهم يعصون رغمًا عنهم.

الخطأ الثالث: نسف آيات الوعد والوعيد؛ إذ تصبح عديمة الفائدة طالما العبدُ مخيّر.

الخطأ الرابع: فتح المجال للملوك والأمراء أن يتعسفوا الناس، ويظلموهم، ويسفكوا دماءهم، وينهبوا أموالهم، ويهتكوا أعراضهم، ويسجنوهم بغير حق، ويفعلوا ما يشاؤون، ويقولون: إنما نفعل ذلك، لأن الله سَلَّطنا عليكم بقضائه وقدره، وعليكم الصبر والرضىٰ بالقدر المحتوم.

ويُحسب القول بالعدل ثورة فكرية توازي ثورة الإمام زيد المسلحة ضد هشام بن عبدالملك بن مروان التي دفع فيها حياته عام ١٢٢هـ، حيث يقول في كتاب أصول الدين (ص١٣٢): كلاَّ وباعث المرسلين، ما هذه صِفَةُ أحكم الحاكمين، بل خلقهم مُكَلَّفِين مستطيعين مَحْجُوْجِيْنَ مأمورين منهيين، أمرنا بالخَيرِ و لم يمْنَعْ منه، ونهىٰ عن الشَّر و لم يُغْرِ عليه، وهداهم النجدين - سبيل الخير والشر-، ثم قال: «اعْمَلُوا، فكلٌ مُيَسَّر لما خُلِقَ له مِنْ عَمَلِ الطاعة، وتَرْكِ المعصية»، وقال تعالىٰ: ﴿خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ ثُمَّ السَّبِيْلَ يَسَّرَهُ﴾ (عبس:٢٠-٢١)، وقال تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَىٰ وَآثَرَ الحَيَاةَ الدُّنْيَا فَإِنَّ الجَحِيْمَ هِيَ المَأْوَىٰ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ ربهِ وَنَهَىٰ النَّفْسَ عَنِ الهَوَىٰ فَإِنَّ الجَنَّةَ هِيَ المَأْوَىٰ﴾ (النازعات: ٣٧-٤١)، وقال تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ وَصَدَّقَ بِالحُسْنَىٰ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ وَكَذَّبَ بِالحُسْنَىٰ فَسَنُيَسِّرُهُ

لِلْعُسْرَىٰ﴾ (الليل: ٥-١٠)، وقال تعالىٰ: ﴿لاَ يَصْلاَهَا إِلاَّ الأَشْقَىٰ الَّذِيْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ وَسَيُجَنَّبُهَا الأَتْقَىٰ الَّذِيْ يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ﴾ (الليل: ١٥-١٨)، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ﴾(الزخرف: ٧٦)، و﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُوْنَ﴾ (المائدة: ٧٩)، و﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوْا يَعْمَلُوْنَ﴾ (الواقعة: ٢٤)، ﴿مَا كَانَ اللّٰهُ لِيُضِلَّ قَوْمَاً بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ﴾ (التوبة: ١١٥)، فنفت المجبرة والمشبهة عن أنفسهم جميع المَذَمَّات، والظلم، والجور، والسَّفَه، ونسبوها إلىٰ الله عزوجل من جميع الجهات. فقالوا: خلقنا اللّٰه أشقياء، ثم عَذَّبنا بالنار، و لم يظلمنا. فأي استهزاء أعظم من هذا!! وأي ظلم أوضح!! أو جور أبْيَن مما وصفوا به الله عزوجل؟! كلا ومالك يوم الدين ما هذه صفة أرحم الراحمين، من يأمر بالعدل والإحسان، وينهىٰ عن الفحشاء والمنكر، كما قال سبحانه: ﴿لاَ يُكَلِّفُ اللّٰهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا﴾ (البقرة: ٢٨٦) وَوُسْعُهَا: طاقتُها. بل كلفهم أقل مما يطيقون، وأعطاهم أكثر مما يَسْتَأهلون، لم يلتمس بذلك منهم عِلَّة، و لم يغتنم منهم زَلَّة، و لم يُخَالِفْ قَضَاءَهُ بقضائِه، ولا قَدَرَه بقدره، ولا حُكْمَهُ بِحُكْمِه، تعالىٰ عما تقول المجبرة والمشبهة علواً كبيراً، إذ شبَّهوا اللّٰه سبحانه بالجنِّ والإنس؛ لأن الظلم، والجهل، والفسوق، والفجور، والكفر، والسَّفَه لا تكون إلا من الجنِّ والإنس.[٦]

٤- الشفاعة لا تجوز لأهل الكبائر،[٧] والروايات التي تقول بذلك، مثل: «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي»[٨] يردها القرآن قطعاً، قال تعالىٰ: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَه*وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَه﴾ (الزلزلة:٧-٨). وقال سبحانه: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلاَ أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلاَ يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللّٰهِ وَلِيًّا وَلاَ نَصِيرًا﴾(النساء:١٢٣)، ﴿وَلاَ يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَىٰ﴾ (الأنبياء:١٢٨)، و﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلاَ شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ (غافر:١٨). فإن كانت شفاعة فلمن استوت حسناته وسيئاته، وللمؤمنين زيادة في تكريمهم، فهذا وإن كان فيه ما فيه فهو أليق من الشفاعة للمجرمين. إن العمل هو المحك، ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَىٰ اللّٰهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ﴾ (التوبة:١٠٥).[٩]

٥- الخلود في النار؛[١٠] لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللّٰهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ (النساء:١٤)،﴿وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ (البقرة:١٦٧)، ﴿وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ (الحجر:٤٨)، ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللّٰهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ (الجن:٢٣) سواء كانوا من عصاة الكافرين أم المسلمين، قال تعالىٰ: ﴿وَالَّذِينَ لاَ يَدْعُونَ مَعَ اللّٰهِ إِلَهًا آخَرَ وَلاَ يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّٰهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلاَ يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا*يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا﴾ (الفرقان:٦٨-٦٩). قال الإمام زيد: أنـزل الله تبارك في أكل أموال اليتامىٰ ظلماً قوله: ﴿إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ (النساء:١٠) والذي يأكل في بطنه نارًا يُبْعَثُ يوم القيامة ملتهبةً في بَطْنه حتىٰ تخرج اللهب من فيه، يعرفه المسلمون بأكله مال اليتيم. وأنزل الله تبارك وتعالىٰ: ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ*الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَىٰ النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ*وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ (المطففين:١-٣)...إلىٰ آخر القصة، و لم يجعل لأحد الويل حتىٰ يوجب له النار.[١١]

٦- الإمامة يستحقها كل علوي فاطمي جمع شروطها، وهي:

البلوغ والعقل؛ للإجماع علىٰ أن لا ولاية للصبي والمجنون علىٰ أنفسهما فضلاً عن غيرهما، وأن يكون ذكرًا، وأن يكون حرًّا، وأن يكون مجتهدًا قادرًا علىٰ استنباط الأحكام، فيرشد الضال، ويحل المشكلات، والشجاعة حيث يجوز السلامة، والورع، والسخاء بوضع الحقوق في مواضعها، والقدرة علىٰ القيام بشؤون الإمامة، والتدبير، وأن يكون أكثر رأيه الإصابة.أن يكون سليم الحواس والأطراف، وأن يكون سليماً من المنفرات، نحو الجذام والبرص، واجتناب المهن المسترذلة كالدباغة، والحجامة، وأن يكون أفضل أهل زمانه.[١٢]

٧- إرجاع متشابه القرآن إلىٰ مُحْكَمِه: فيعتبر قوله تعالىٰ: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ (القيامة:٢٣) من المتشابه، باعتبار أن من معانيها النظر، وإلا فهي بمعنىٰ منتظرة؛ عملاً بمحكم قوله تعالىٰ: ﴿لاَ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ﴾ (الأنعام:١٠٣).

وما ورد مما ظاهره أن الإضلال من الله، والختم علىٰ القلوب، وما شابه ذلك، وكله يُرَدُّ إلىٰ مثل قوله تعالىٰ: ﴿مَا يَفْعَلُ اللّٰهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ﴾ (النساء:١٤٧)، ﴿وَأَمَّا

ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَىٰ الْهُدَىٰ﴾ (فصلت:١٧)، ﴿فَمَنْ شَآءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ (الكهف:٢٩)، ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ* وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (التكوير:٢٨-٢٩). وقد شاء سبحانه الاستقامة، وإلا لما أرسل الرسل، وأنـزل الكتب، وحذَّر، وبَشَّرَ، ورغَّب، ورهَّب ﴿لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَىٰ اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ (النساء:١٦٥).

قال الإمام الهادي (عليه السلام) في كتاب العدل والتوحيد: اعلم أن القرآن محكم ومتشابه، وتنـزيل وتأويل، وناسخ ومنسوخ، وخاص وعام، وحلال وحرام، وأمثال، وعِبَرٌ، وأخبار، وقصص، وظاهر، وباطن، وكل ما ذكرنا يُصدِّق بعضه بعضاً، فأوله كآخره، وظاهره كباطنه، ليس فيه تناقض، وذلك أنه كتاب عزيز، جاء من رب عزيز علىٰ يدي رسول كريم، وتصديق ذلك في كتاب الله حيث يقول: ﴿وانه لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِه تنـزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ (فصلت:٤٢)، ويقول: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾ (البروج:٢١)، ويقول: ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا﴾ (النساء:٨٢).

فإذا فهم الرجل ذلك أخذ بمحكم القرآن، وأقر بمتشابهه أنه من الله، كما قال الله سبحانه: ﴿هُوَ الَّذِي أَنـزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ ءَايَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ﴾ (آل عمران:٧)، ثم بين عز وجل لأي معنىٰ تركوا المحكم وأخذوا بالمتشابه؛ قال: لابتغاء الفتنة والهلكة، فلذلك جعل المحكم إماماً للمتشابه، كما جعله حيث يقول: ﴿هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ﴾.

فالمحكم كما قال الله: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ (الإخلاص:٤)، و﴿لَيْسَ كَمِثْلِه شَيْءٌ﴾ (الشورىٰ:١١)، و﴿لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ﴾ (الأنعام:١٠٣)، ونحو ذلك، والمتشابه مثل قوله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ (القيامة:٢٢)، معناها بيِّن عند أهل العلم، وذلك أن تفسيره عندهم. أن الوجوه يومئذٍ تكون نَضِرَةً مشرقة ناعمة، إلىٰ ثواب ربها منتظرة، كما تقول: لا أنظر إلا إلىٰ الله وإلىٰ محمد، ومحمد غائب، ولا ينظر الله إليهم يوم القيامة، معناه: لا يبشرهم برحمته، ولا ينيلهم ما أنال أهل الجنة من الثواب، فعندما لا ينظر الله إليهم يوم القيامة يراهم.

ثم قال: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ﴾، يقول: ثواب ربه، ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا﴾ (الكهف:١١٠)، وقال: ﴿كَلا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ (المطففين:١٥).

وأما الله عز وجل فلا يُرىٰ في الدنيا ولا في الآخرة، وذلك أن ما وقع عليه البصر فليس بخالق ولا قادر.

وكذلك يأخذ الإنسان في العدل والتوحيد بهذه الآيات: ﴿إن الله لا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ﴾ (الأعراف:٢٨)، ﴿وَلا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ (الزمر:٧)، وإذا مر عليه شيء من القرآن يقع عنده أنه مخالف لهذه الآية فليعلم أن تفسيره مثل تفسير المحكم، إلا أنه جهل تفسيره، مثل قول الله عز وجل: ﴿وَقَضَيْنَا إِلىٰ بَنِي إِسْرائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ﴾ (الإسراء:٤)، أي: تختارون اسم الفساد، كما قال: ﴿وَقَضَيْنَا إليه ذَلِكَ الأَمْرَ﴾ (الحجر:٦٦)، يقول: أعلمناه.

والوجه الثاني في القضاء: أمر، كما قال سبحانه: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلا تَعْبُدُوا إلا إِيَّاهُ﴾ (الإسراء:٢٣).

والوجه الثالث: قضاء خَلْقٍ، وذلك قوله: ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾ (فصلت:١٢)، يقول: خلقهن في يومين، فأما أن يكون يقضي رب العالمين علىٰ خلقه بمعصية ثم يعذبهم عليها، فهذا محال باطل من المقال.[١٣]

٨- قبول ما رواه العدول الثقات من السنة الشريفة، وما أشكل من الروايات، فيعرض علىٰ القرآن والعقل، وصحيح السنة، والثوابت، ويرد ما خالف الواقع ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَىٰ اللهِ﴾ (الشورىٰ:١٠). يقول الإمام زيد في الرسالة المدنية عند سؤاله عن رواة الصحابة للآثار عن الرسول صلىٰ الله عليه وآله وسلم: إنك قد نظرت في روايتهم فرأيت فيها ما يخالف الحق. فاعلم يرحمك الله أنه ما ذهب نبي قط من بين أمته إلا وقد أثبت الله حججه عليهم، لئلا تبطل حجج الله وبيِّناته، فما كان من بدعة وضلالة فإنما هو من الحَدَث الذي كان من بعده، وإنه يكذب علىٰ الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه.

وقد قال رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم: "اعرضوا

الحديث إذا سمعتموه على القرآن فما كان من القرآن فهو عني وأنا قلته، وما لم يكن على القرآن فليس عني و لم أقله، وأنا بريء منه". ورواه الإمام الهادي في كتاب القياس، وذكر بدايته: "سيكذب علي كما كذب على الأنبياء من قبلي، فما أتاكم عني فاعرضوه ... إلخ."(١٤)

٩- أن كل الصحابة عدول إلا من أبى، وهو من لم يحسن إسلامه، فلا بد للصحابي من أن يحافظ على حرمة الصحبة، وأن يموت مؤمناً متبعاً لشرع الله.(١٥)

وقضية الخلافة قضية تاريخية لم يعد للدندنة حولها كبير فائدة، سوى شروط من يتولى زعامة الأمة، فهي مهمة جدًا، ويمكن أن يستعاض بشرط النسب، الاقتراع الحر.

١٠- الالتزام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتوحيد الأمة تحت راية عدل وتوحيد ومساواة.(١٧) وقد كان الإمام علي (عليه السلام) شديد التمسك بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لم يخف في الله لومة لائم، وقد كان سيف رسول الله القاطع، وساعده الأيمن، ما فَرَّ قط، ولا ارتاع قط، ولا بارز عدوًا لله إلا قتله، وقد ورّث لأولاده عليهم السلام هذه الميزة.

فمن وصيته للسبطين الشريفين: كونا للظالم خصمًا، وللمظلوم عونًا، واعملا بالكتاب ولا تأخذكما في الله لومة لائم.(١٨) وكذلك كانا، فقد قضى الحسن حياته بالسم؛ لأن حياته كانت ثقيلة على أعدائه. وخرج الحسين بعد ذلك في قصة كربلاء الشهيرة، وتلاه بعد ستين عامًا حفيده زيد في ثورته المعروفة، وكان من عظماء أهل البيت علمًا وزهدًا، وشجاعةً ودينًا وكرمًا، وكان قد شاب عصره من الأفكار الدخيلة على الدين، فقام بثورته الفكرية ضد القدرية والمجسمة والمشبهة وغيرهم، فألف الرد على القدرية والجبرية، والرد على المرجئة، والصفوة، وإثبات الوصية، وإثبات الإمامة، وغيرها. وبعد ذلك بدأ في ترسيخ أهم مبادئه العظيمة (مبدأ الخروج على الظَلمة) ودفع من أجله حياته، وكان قد حاول الأمويون إلغاء هذا المبدأ، وأسسوا مبدأ طاعة ملوك الجور، حتى وإن جلد ظهرك، وأخذ مالك، وهتك عرضك، وأجروا ذلك على لسان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. ففتح باب الجهاد، وكان قد بايعه من الفقهاء الذين أخذوا عنه أبو حنيفة وأعانه بمال كثير، وقد انطوى ديوانه على خمسة عشر ألف مقاتل من الكوفة، وخرج معه من القراء والفقهاء الكثير، واستشهد في ٢٥ محرم عام ١٢٢هـ.

ثانياً: الامتداد التاريخي والانتشار

ذكرت أن تاريخ الزيدية يمتد إلى زمن علي عليه السلام، وانتشار فكر علي لا شك في أنه مربوط بفكر القرآن، وحتى وإن تجاذب الإمام عليًّا طوائف بعضها غالى فزعمه إلهاً، وبعضها نبياً، وبعضها الآخر بالغ واعتقد أنه أفضل من سائر الرسل والأنبياء. ما عدا محمدًا صلى الله عليه وآله وسلم، قالوا: لأنه نفس محمد صلى الله عليه وآله وسلم في آية المباهلة: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ (آل عمران:٦١)، وبعضٌ توسط واعتدل، وهم زيد بن علي والأئمة من أولاد الزهراء ومن بني هاشم كالباقر، والصادق، والحسن بن الحسن، وعبدالله بن الحسن الكامل، وبنوهم قاطبة لم يشذ أحد عن نهج زيد، وتابعه على نهجه التوحيدي كل الفرق عدا طوائف عادَتْهُ: فمنهم من قاتله وسبّه، ومنهم من سبّه فقط، ومنهم من بغضه، ومنهم من قصر به عن حقه. وقد لخص هذا في قوله: هلك فيَّ اثنان محب غالٍ، ومبغض قالٍ.(١٩) وقول الرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "فيك مثل عيسى أبغضته اليهود حتى بهتوا أمه، وأحبته النصارى حتى أنـزلوه بالمنـزلة التي ليس بها"، ثم قال علي (عليه السلام): "يهلك فيَّ رجلان محب مفرط يُقَرِّظُنِي بما ليس فيَّ، ومبغض مُفْتَرٍ يحمله شنآني على أن يبهتني".(٢٠) وكانت الزيدية منذ ظهور ثورة الإمام زيد بن علي أَشْهَرَ الفِرَقِ التي دقت المسامير في عروش الظالمين.

ونهضت الزيدية بقيادة الإمام عبد الله بن الحسن الكامل وبنيه في وجه المنصور، وبويع للنفس الزكية محمد بن عبدالله بن الحسن. وكانت ثورته التعبيرَ الصادق عن مشاعر الجماهير الإسلامية، وعن مشاعر رجال الفكر الإسلامي في عواصم المسلمين؛ فما إن رفعت راياتها في المدينة حتى هبت إليها الجماهير المسلمة في الحجاز، واليمن، والعراق، كما أعلن تأييدها رجال العلم والدين، فالإمام مالك في المدينة

أفتىٰ بعدم صحة بيعة المنصور؛ لكونها أخذت بالإكراه، وأبو حنيفة في العراق يؤيد الثورة ويناصرها بالمال واللسان، وكانت ممثلة في أخيه إبراهيم بن عبدالله، لذلك حقد المنصور علىٰ هذين العالمين الجليلين، فعذبهما بعد انتصاره علىٰ هذه الثورة، وقتل الإمام محمد بن عبدالله في المدينة، وقتل أخاه في العراق. ولما وصل إلىٰ المنصور رأس الإمام محمد أرسله إلىٰ أبيه وهو في سجنه فلم يزد الأب علىٰ أن قال: موعدنا يوم القيامة.

ومات في محبس الهاشمية سنة ١٤٥هـ، وكان قد حمل الكثير من أولاد الحسن من الحجاز إلىٰ العراق وأودعهم محبس الهاشمية.(٢١)

وبعد موت المنصور تولىٰ ولده محمد المهدي، وكان المهدي حكيمًا ورحيمًا إلا علىٰ بني عمه أولاد علي. وبعد المهدي جاء بعده ولي عهده موسىٰ الهادي، وكان قاسياً عنيداً. وفي المدينة المنورة قام عامله فيها بحبس الحسن بن محمد بن عبدالله النفس الزكية مع آخرين، وطاف به في شوارع المدينة زيادة في الإهانة، وتشويهًا لسمعة أهل البيت النبوي الشريف، فاحتج عليه الحسين بن علي بن الحسن (المثلث) ابن علي (عليهم السلام)، وطالبه بإطلاقه، فأطلقه بكفالته، وكفالة يحيىٰ بن عبدالله، واشترط العامل عليه الحضور إلىٰ السجان كل يوم للتأكد من وجوده، وبقائه في المدينة، وذات يوم افتقده، فطلب الكفلاء، وهددهم من أجله، فخرجوا من مجلسه، وأجمعوا أمرهم علىٰ الثورة وبايعوا الإمام الحسين الفخي بن علي بن الحسن، ورفعوا شعار الثورة الزيدية، وكان حينذاك الأذان بـ(حي علىٰ خير العمل) واستولوا علىٰ المدينة. وعلم بهذه الثورة موسىٰ الهادي، فأرسل جيوشه بقيادة موسىٰ بن عيسىٰ، وكانت المعركة في مكان يسمىٰ فخ-وهو الآن بين التنعيم وحديقة الزاهر بمكة المكرمة- وقد نسب الإمام إلىٰ هذا المكان حيث قتل فيه. وبعد قتل الإمام الحسين تفرق من بقي سالمًا من جيشه في الآفاق، ومنهم إدريس بن عبدالله بن الحسن، ويحيىٰ بن عبدالله بن الحسن. فأما إدريس فلحق بالمغرب وتمكن من تأسيس دولة الأدارسة هناك، وبعد هذه المعركة لم تطل مدة موسىٰ الهادي، فقد مات بعد بضعة أشهر منها سنة ١٧٠هـ، قيل: بمرض القرحة في بطنه، وقيل: قتلته أمه الخيزران بواسطة جواريها، وتسلم الحكم بعده هارون الرشيد، وبه ابتدأ العصر الذهبي كما يقولون، وبلغ الحكم القمة في عهد ابنه المأمون، ولكن هذا العصر الذهبي لم يخل من المشاكل، فقد ثار في الديلم يحيىٰ بن عبدالله الذي نجا من مقتلة فخ- وأرسل هارون لإخضاعه جيشًا بقيادة الفضل ابن يحيىٰ، وتمكن الفضل من خداعه للمصالحة مع هارون الرشيد، بعد أن ضمن له أن يكتب له الرشيد أمانًا بخطه، ويشهد عليه العلماء والصلحاء والوجهاء لديه، ففعل الرشيد ذلك كله، ولكنه بعد وصوله إليه حبسه بمنـزل جعفر بن يحيىٰ بن خالد البرمكي مدة، ثم أنـزله (المَطْبَق) مكاناً تحت الأرض، ومات به مسمومًا، وقيل: جوعاً وعطشًا، وقيل: بل أطلقه جعفر فذهب في الأرض متخفيًا حتىٰ مات، ومن يرىٰ هذا القول يقول: إنه كان السبب الأهم في قتل الرشيد لجعفر البرمكي والقضاء علىٰ البرامكة. ومهما يكن فالإمام يحيىٰ قد انتهىٰ، ولكن الثورات لم تنته.(٢٧)

وفي سنة ٢٥٠هـ استطاع الإمام الداعي الحسن ابن زيد من تأسيس الدولة الزيدية بطبرستان وما إليها، وانفصلت عن الدولة العباسية في عهد المعتمد، وبعد المعتمد جاء المعتضد، وفي أيامه ظهرت القرامطة في العراق، والبحرين، واليمن، وعمت كل أنحاء الدولة العباسية المحن والفتن، وكانت اليمن في هذه الفترة غارقة في الفوضىٰ، مثخنة بالفتن، متخمة بالدويلات والمشيخات، وللتخلص من هذه الأوضاع أجمع رجال الحل والعقد وعلىٰ رأسهم ملك همدان أبا العتاهية علىٰ الإمام الهادي يحيىٰ بن الحسين، فخرج عام ٢٨٠هـ وبدأ بالإصلاح، ثم رجع إلىٰ بلده الحجاز، لما وجدهم لا يطيعونه إذا أمرهم بمعروف ونهاهم عن منكر. أما المرة الثانية فأذعنوا له وبدأ بتأسيس الدولة الزيدية في اليمن، وكانت عاصمته صعدة عام ٢٨٤هـ، وكانت السيطرة للمجبرة، فاجتمع فقهاؤهم، واختاروا رئيسهم يحيىٰ النَّقَوي لمناظرت الهادي فابتدأ بسؤال الهادي قائلاً: يا مولانا مِمَّنِ المعاصي؟ فقال الهادي مجيبًا: ومَنِ العاصي؟ فلم يُحِرْ جواباً، فلامَهُ أصحابه، فقال لهم: إن قلتُ: العاصي الله كفرت، وإن قلت العاصي العبد دخلت

في مذهبه، فلم يجدوا بُدًّا من الدخول مع الهادي في مذهب العدل والتوحيد وتخلوا عن عقائدهم.

ثم ظهرت القرامطة، واشتبك معهم الهادي وبنوه في حروب طاحنة انتهت بكسر شوكتهم.

تكاثر تلاميذ الهادي من بنيه وأحفاده وغيرهم، وانتشرت هِجَرُ العلم، وتسابق الفحول من ذرية الحسن والحسين -وأكثر من باليمن من ذرية الهادي- ومن ذرية أعمامه، وبعضهم يَلْتَقُونَ معه في القاسم الرسي.

تسابقوا في العلم لإحراز مرتبة الاجتهاد، وحمل قصبة السبق في العلم لكي يصلح لمنصب الإمامة الذي يشترط لمن يتبوؤه أن يكون أعلم أهل زمانه، أو من أعلمهم، ومن لم يكن نيته الإمامة فإن المركز العلمي المرموق نفيس شريف جليل، وعليه فليتنافس المتنافسون.

وقد اعتلىٰ منصة الزعامة العلمية والسياسية كثير من بدور الدجىٰ، مثل محمد بن الهادي، وأخيه الناصر أحمد، والمؤيد بالله أحمد بن الحسين الهاروني، وأخيه الناطق بالحق أبو طالب يحيىٰ بن الحسين، والناصر الأطروش في الديلم، وأحمد بن سليمان، وعبدالله بن حمزة، وأحمد أبي طير، ويحيىٰ بن حمزة، وأحمد بن يحيىٰ المرتضىٰ، وحفيده يحيىٰ شرف الدين، ومن القضاة والفقهاء ألوف مؤلفة نالوا رتبة الاجتهاد.

ثالثاً: ظهور الإمام المنصور بالله القاسم بن محمد بن علي بن محمد بن علي بن الرشيد ومدرسته:[٢٨]

في أوائل عام ١٠٠٦هـ نصب نفسه إماماً، ودعىٰ الناس إلىٰ بيعته، ومن جملة رسائله: أيها الناس إن رسوم الدين قد عفت، وأعلام الهدىٰ طُمِسَت، وأحكام الشريعة قد عُطِّلَت، والفرائض قد رُفضت، والمحارم قد انتُهِكت، والخمور قد شُرِبت، والذكور قد نُكِحَت، والضعفاء والأيتام قد ظُلِمَت، والدماء قد سفكت، والشرور قد كثرت، والفتنة قد عظمت، حتىٰ لُبِسَ الإسلام في هذا الزمان لبس الفرو مقلوباً، وصار كما قال صلىٰ الله عليه وآله وسلم: "بدأ الدين غريباً وسيعود غريباً" فجعل أعلاه أسفله، وأسفله أعلاه، وقُرِّب الماحل، وبُعد الفاضل، واستكمل فيه الفاجر، واستُنقص فيه الطاهر.[٢٩]

وقد كان عرض علىٰ علماء آل البيت وشيعتهم النهوض لإزالة المنكرات وإقامة العدل، فلم يجبه أحد علىٰ التقدم، بل أشار كل منهم إلىٰ أنه الأصلح والأكفأ، وكان يهدف الإمام القاسم من القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - عن طريق ادعاء الإمامة التي تخوله بعد البيعة لفعل ذلك- يهدف إلىٰ إزالة ما شاهده منذ صباه من الفتن، والفوضىٰ، والظلم، ودخول الأتراك الذين عاملوا اليمنيين معاملة قاسية من: قتل، وأسر لأشرافهم، وإذلال، وإرهاق الناس بجباية الأموال، وكان الأمراء منهم يسعون لتكوين ثروات شخصية غير جباية الأموال لخزينة الدولة، وكانوا يتعسفون المزارعين ويرهقونهم. وبالرغم من جبروت الترك وقوتهم التي أخضعت شطرًا من أوروبا، وكذلك ما لحق بأهل اليمن من الفزع والرعب من بطش الأتراك، إلا أن شخصية الإمام القاسم الفذة، وعزيمته الصلبة، وما تميز به من الشجاعة، والدهاء، والرحمة، والسخاء، والحزم، والصبر علىٰ مكابدة الشدائد، جعله يستمر في المقاومة عشرين سنة.

١- فكر القاسم وآثاره:

لم ينقص تفوقه العلمي عن تفوقه العسكري والإداري قيد أنملة، فقد ألَّف الكتب النافعة في جوانب متعددة مهمة.

فمنها كتابه (الأساس في العقيدة)، وهو مدرسة الزيدية في علم أصول الدين، دحض فيه شُبَهَ المجسمة والمجبرة والحشوية، ودك قواعد بدع العقيدة دكّاً، وقد ألفه في جبل بَرَط أثناء اختفائه من الأتراك، وقد شرحه كبار العلماء، وأشهر شروحه للإمام المجتهد أحمد بن محمد بن صلاح ابن محمد بن صلاح الشرفي من زملاء القاسم وتلاميذه الكبار، ومن منطقته بالشاهل، شرحه بالأساس الكبير شفاء صدور الناس في مجلدين، وعدة الأكياس في مجلدين، وكلاهما مطبوع، والأخير هو المتداول بين طلاب العلم، وشهرة كتاب الأساس لم تكن لدىٰ الزيدية فحسب، بل تعدت شهرته حدود اليمن وبلغت العراق والشام، ولذلك تعقبه الكردي[٣٠] بكتاب سماه (النبراس لكشف الالتباس الواقع في الأساس لعقائد قوم سموا أنفسهم بالأكياس)، طعن فيه علىٰ الأساس، فرد عليه إسحاق بن محمد بن قاسم العبدي اليمني الصعدي بكتاب سماه

(الاحتراس من نار النبراس الطاعن على قواعد الأساس) في مجلدين ضخمين، فيه من البحوث الكلامية ما يُدهش العقول. ومن كتب القاسم كتابه الشهير (الاعتصام بحبل الله المتين)، ألفه قبل وفاته، وصل إلى كتاب الصيام، وأكمله السيد يوسف بن أحمد زبارة، وسمى التكملة: أنوار التمام، وسار فيها على نهج المؤلف.

وقد ضمنه الإمام القاسم وجوب التمسك بحبل الله والتوحد وحرمة التشرذم، والتفرق الذي نهى الله عنه وحذر ﴿وَلاَ تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ (الأنفال:٤٦). وجمع في الكتاب أهم المسائل الفقهية المعتمدة لدى الزيدية وعضدها بالأدلة المروية من طرق الأئمة الزيديين، ومن دواوين السنة، فبرهن بطريقته هذه أن المذهب يصلح جسرًا للتلاقي، ومنها كتابه الصغير الحجم الكبير الفائدة بعنوان (الإرشاد إلى سبيل الرشاد)، بحث فيه حكم الاختلاف في الدين، وقد استشعر الإمام أن التفرق سببه الجمود والتحجر، وإغلاق باب الاجتهاد، والتعصب لأئمة المذاهب أو نحوهم من السلف، وبين فيه أن الأئمة قد يخطئون، وليس عيبًا فيهم، فأرشد إلى اتباع كتاب الله عند التنازع، وإلى السنة الجامعة غير المفرقة، وإلى ما اعتمده آل البيت وخصوصاً علي عليه السلام؛ لما صح من قوله صلى الله عليه وآله وسلم: (تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي: كتاب الله، وعترتي أهل بيتي).[٣١]

وقد أنشأ قصيدة في ذم بدع الصوفية والتصوف، سماها (الكامل المتدارك في بيان مذهب المتصوف الهالك)، وقد أزعجت الصوفية، فاشتكوا للوالي العثماني سنان باشا، فأمر الشريف محمد بن عبدالله شرف الدين بالرد عليه، والإمام مصيب في انتقاده، فإذا كان التصوف هو الزهد والتقشف والإيثار والعبادة فأهلاً به، فلا يوجد مثيل لتطبيقه، مثل حياة الإمام القاسم، والأئمة الأطهار بدءاً بنبي الله صلى الله عليه وآله وسلم، ثم علي، والشيخين أبي بكر وعمر، وعمر بن عبدالعزيز، وإن كان التصوف هو الطقوس والحركات المبتدعة والعكوف في الزوايا، وتمجيد مشائخ الصوفية فهو منتقد.[٣٢]

٢- الإمام أحمد بن محمد بن صلاح بن محمد بن صلاح الشرفي:

شَكَّل مع الإمام القاسم مدرسة أصولية شاملة مسحت الساحة الفكرية، وخط الإمام القاسم عناوين ما يليق بالله من المعرفة والعلم بجلاله وعدله. وشرح السيد الشرفي تلك العناوين بشروح تدل على علم واسع. فالعقائد ذات شأن خطير؛ لأنها نبع يتفجر صراعاً حادًا يسهل على الحكام استخدامه لضرب هذا بذاك، وقد أسهمت العقائد في محو دول وصناعة أخرى، وقد كان الإمام الشرفي ذا باع طويل في هذا العلم، خبيرًا بالعقائد لدى كل طائفة إسلامية أو مجموعة أو فرد، وخبيرًا بما عند الفرق الإنسانية كفلاسفة اليونان أو البراهمة، وتمكن عند تحليل الآراء الإسلامية والإنسانية من وضع يده على ما هو صواب، وتزييف ما هو سراب. وهذا يُعدُّ من أهم المرتكزات التجديدية عند الشرفي.

وتبحر الشرفي في علم التاريخ العام والخاص، فتمكن من تشخيص الداء، ومن وصف الدواء. فالشرفي من خلال كتابه (اللآلئ المضيئة في أخبار الأئمة الزيدية)، الذي يُعد أطول شروح قصيدة البسامة لإبراهيم بن محمد الوزير (توفي ٩١٤هـ)[٣٣] الذي أراد لكتابه أن يكون جامعاً لنُبَذٍ من تاريخ الأمم والشعوب عبر العصور إلى عصره على غِرار ما فعله كتاب التاريخ العام، مثل: الطبري، والمسعودي، وابن الأثير وغيرهم، كما أراد أن يتخلل ذلك ترجمة مفصلة للأئمة الزيدية حسب معاصرتهم للأحداث؛ لذا فقد جمع لأول مرة بالنسبة لتقسيم موضوعات كتابه بين منهجين: منهاج كُتَّاب التاريخ العام، ومنهاج المؤرخين الزيديين، كأبي العباس الحسني (توفي٣٥٣هـ) في كتابه (المصابيح)، وحُمَيْدِ المَحَلِّي (توفي٦٥٢هـ) في كتاب (الحدائق الوردية)، والزِّحَيْفِ في كتابه (مآثر الأبرر). والجمع بين المنهجين أتاح للشرفي أن ينحو بتاريخه نحواً مميزاً، وهو ما هدف إليه حين ذكر في مقدمة كتابه أنه أراد للقارئ أن يقارن بين تاريخ أئمة الزيدية، وتاريخ من عاصرهم أو عارضهم من الملوك والسلاطين؛ إذ قال بداية كتابه: "فإني رأيت أن أجمع لي ولإخوتي من المؤمنين جملاً من سير المرسلين وغير المرسلين، وطُرَفًا من أخبار الصالحين مختصراً، ومن سيرة

الأئمة الهادين، وأخبار الماضين.. إلىٰ أن قال: لما في ذلك من الفائدة العظيمة لأولي النُّهىٰ، فيميز الناظر بعين البصيرة بين أئمة الهدىٰ وأئمة الردىٰ؛ ليعتبر به أولوا الألباب".

كان الإمام الشرفي يمتلك رؤية واسعة في نقده للحكام أياً كانوا، بسبب ثقافته العالية المستوىٰ محلياً وإقليمياً وعالمياً.[٣٤]

رابعاً: الإمام محمد بن إسماعيل الأمير

مَثَّل صورة واضحة لطبيعة المذهب الزيدي القائم علىٰ وجوب الاجتهاد لكل قادر عليه، فالتقليد نقيصة، وقد أُثِرَ عن مجدد المذهب وجامع شتاته مؤلف (الأزهار والبحر الزخار) في الفقه، وهو موسوعة إسلامية لشتىٰ المذاهب المشهور منها والمغمور. قوله: لو أن طالب العلم طلب علوم الاجتهاد لوصل إلىٰ درجة المجتهد قبل حفظه المتون والشروح راضيًا بالتقليد.

والصورة التي أظهر ابن الأمير اهتمامه الشديد بها قيامه بنشر السنة الشريفة وتدريسها والتَشَبُّع بها عوضًا عن العكوف علىٰ نصوص الفقهاء، وهذا ما يفعله طالبو الاجتهاد، فهم وإن درسوا حصيلة ما استنبطه المجتهدون قبلهم، فإنهم يبحثون الأدلة سنداً ومتناً ودلالة، ثم تكون النتيجة موافقة المجتهدين حتماً أو بعضهم؛ لأن المنبع واحد، وطرق الاستنباط وضوابطه واحدة، وقد يحصل اختلاف تبعاً لاختلاف العلماء في القواعد والضوابط. مثال ذلك: قوله صلىٰ الله عليه وآله وسلم: "ليس فيما دون خمسة أوسق صدقة". وقوله صلىٰ الله عليه وآله وسلم: "فيما سقت السماء العشر". فبعضهم جعل حديث الأوسق مُقَيِّدًا لإطلاق "فيما سقت السماء"، وبعضهم ضَعَّف الأول ورجح الثاني، فأوجب الزكاة في القليل والكثير.

وأحدث الإمام الأمير توازناً داخل المدرسة الزيدية، ويحسب له الآثار الآتية:

الأثر الأول: التخفيف من حدة النقد لكتب الحديث، وفك الحجر علىٰ دراستها لصغار الطلبة، فربما تخوف الكبار من العلماء من تدريس مثل البخاري، ومسلم، ونحوهما، وفيها روايات التجسيم والتشبيه والرؤية، وفيها روايات خلق الأفعال، والخروج من النار، والشفاعة لأهل الكبائر، وفيها روايات تحث علىٰ طاعة الأمير وإن جلد ظهرك، وإن.. وإن..، وأطيعوهم ما أقاموا فيكم الصلاة.

الأثر الثاني: أبدىٰ اهتمامًا بطريقة المحدثين في تصحيح الحديث، فأخذ بزمام طلاب العلم إلىٰ دراسة كتابه (توضيح الأفكار)، وهو شرح بديع حافل علىٰ (تنقيح الأنظار) للإمام محمد بن إبراهيم الوزير صاحب العواصم والقواصم، واهتم كثيرًا بعلم المصطلح، فنَظَمَ (نخبة الفكر لابن حجر)، واسمه (قصب السكر)، وشرح بكتاب سماه (إسبال المطر). وله (ثمرات النظر في علم الأثر)، أفادني كثيراً في أثناء تحضير رسالتي للدكتوراه بعنوان: عدالة الرواة والشهود.

وشرح كتاب (عمدة الأحكام) لابن دقيق العيد في مجلدين ضخمين، وأظهر بكتابه (سبل السلام) أنه من أقطاب المحدثين، وهو وإن كان مختصرًا من (البدر التمام) للمغربي، إلا أن البراعة التي أودعها فيه، والمهنية الفائقة جعلت منه شخصية علىٰ مستوىٰ العالم الإسلامي، وشرح (الجامع الصغير) للسيوطي في أربعة مجلدات وسماه: (التنوير). وله (التحبير شرح تيسير الوصول إلىٰ جامع الأصول) لابن الديبع، مجلدان.

والحق فالأمير لا يقل عن ابن حجر والنووي إن لم يفقهما بتمرسه في علوم آل البيت الزيدية، وإمامته في مدرستهم، فهو إمام مقدم عند الزيدية، وإمام كبير في مدرسة الحديث والأثر.

اعتمد السيد الأمير في تصحيح الحديث طريقة المحدثين، وهي طريقة لا تعتمد العرض علىٰ القرآن ولا العقل إلا في نطاق ضيق، فكأنه جدد أهمية طريقة المحدثين، وشحذ الهمم لدراستها، لكنه أعرف الناس بورع أئمة الزيدية وتحريهم، ولديه دراية تامة بكيفية العرض علىٰ القرآن، وما هي الأحاديث التي تعرض، ومتىٰ، وكيف؟

فعندما يمرر الحديث علىٰ الطريقتين وهما معروفتان لدىٰ الزيدية، فسيكون ذلك أصون للسنة وأحوط، فالأمير عاقل شد الطلاب إلىٰ الاعتناء بدراسة علم الرجال والمصطلح، وممارسة علم الحديث بكافة جوانبه، وحصل ذلك بداية بالسيد محمد الوزير، ومروراً بالسيد الحسن الجلال، ثم السيد الأمير، ثم من أتىٰ بعده.

وللأمانة فقد سبق الإمامَ المهدي أحمد بن يحيىٰ المرتضىٰ، والسيد الحسن الجلال، وقد أثبتا من العناية بعلم الحديث ما

يدهش الألباب، إلا أن ابن الأمير أضاف نكهة خاصة.

الأثر الثالث: طريقته في التشيع، أحدث في هذا الجانب جهدًا فارقًا بين التشيع السني، وهو ما يتميز به المذهب الزيدي، والتشيع الذي يحمل شيئاً من المجازفة. فقد شاءت الأقدار أن يكون السيد الأمير خطيباً للجمعة في الجامع الكبير بصنعاء، فلم يذكر الخمسة أهل الكساء بأسمائهم في الخطبة الأخيرة كما هو المعتاد، واكتفىٰ بقوله: اللهم صل علىٰ محمد وعلىٰ آل محمد... فاتهمه بعض المتعصبين بأنه ناصبي، فأنشأ قصيدة رائعة شهيرة سماها «التحفة العلوية»، ضمنها غرر مناقب الإمام علي عليه السلام، بدأها بقوله:

تحفة تهدىٰ لمن يهوىٰ عليّا ... من رقىٰ شأواً من المجد عليًّا

وختمها بقوله:

كل ما للصحب من مكرمة ... فله السبق تــراه الأولــيــا

جمعت فيه وفيهم فرقت ... فلهذا فوقهم صــار عليا

نــال ما قد نــال كل منهم ... والــــذي سابقه عـــاد بطيا

وكــفــاه كونه للمصطفىٰ ... ثانياً في كل ذكــر وصفيا

صــلــوات الله تــتــرىٰ لهما ... وعلىٰ الآل صباحًا وعشيا

ثم شرحها بكتاب سماه: (الروضة الندية)، ودعم ما ضمنه في التحفة بالأدلة من الكتاب والسنة. وقد أكد السيد الأمير أن تقديم علي علىٰ سائر الصحابة ليس من باب المجازفة، ولا علاقة له بالتشيع المعيب، وإنما هو المكان الطبيعي حسب ما هو الواقع وما شهدت به الأحداث والآيات والآثار، وما تميز به الإمام من صفات نادرة جعلته مثل هارون من موسىٰ ما عدا النبوة، وبرهن علىٰ أنه لا يجوز الجرح بهذا، وانتقد المحدثين بمبالغتهم في الجرح بالتشيع. كما شدد علىٰ أن التشيع لا يعني سب الصحابة ولا غمط أبي بكر منــزلته وسبقه وهجرته، وكذا سائر الصحابة، ثم إنه ميز بين الكبار من المهاجرين والأنصار، وبين الطلقاء، وشبه الطلقاء فأدانهم، و لم ينكر أحداث عثمان، وطلحة، والزبير، وعائشة، وإنما بحث عن مخارج، وروىٰ توبة أصحاب الجمل، وذلك أسلوب العالم العارف الراسخ الفقيه المتمرس الذي غاص في العلم إلىٰ القعر بداية بعلم الآل الذي فات كثيراً من كبار المحدثين فوقعوا في غلطات بارزة للعيان، منها:

- الجرح بالتشيع الذي هو مجرد تقديم علي، فقد جرحوا من قدمه حتىٰ علىٰ عثمان.
- عدم اطلاعهم علىٰ روايات أئمة آل البيت الكبار، كالمؤيد بالله، وأبي طالب، وأحمد بن عيسىٰ، والهادي إلىٰ الحق، والمرشد بالله، وغيرهم، وما وصلهم كمسند الإمام زيد جرحوه بدون مبالاة. ولو قارنوه برواياتهم كما فعل تلامذة الإمام زيد لغيروا حكمهم، ولكن التشيع تشوهت صورته لأسباب سياسية، فتوارث الناس الصورة المشوهة للتشيع.
- جرحهم بالقَدَرِ، ومرادهم بالقدري من يقول بأن للإنسان قُدرةً علىٰ فعل الخير والشر، وهذه القدرة ممنوحة من الله للابتلاء، وهو تعالىٰ قادر علىٰ سلب القدرة، واعتبروا الإنسان العدل هو من يرىٰ أن الإنسان مُجبر لا خيار له، ويؤمن بأن الله خالق كل شيء حتىٰ معاصي العباد، فهي مخلوقة لله كخلق الأبدان والألوان.
- جرحهم من قال بخلق القرآن أو حتىٰ توقف، وهي مسألة مشؤومة، وهي سياسية أكثر منها عقدية، استغلها أحمد بن أبي داود بسبب قربه من المأمون، فاستخدم نفوذ الدولة، وتحول إلىٰ جلاد، و لم تعد مسألة حق أو باطل، وإنما فعل ورد فعل جاء علىٰ يد المتوكل وأحمد ابن حنبل.
- التعديل المطلق للصحابة، وإثبات الصحبة بمجرد الرؤية للنبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم من أغلاط المحدثين، كما أن المبالغة في العصمة لأهل البيت عند الاثني عشرية والحط علىٰ الصحابة من هفواتهم، فخيار الأمور الوسط، وهو نهج الزيدية، ومدرسة السيد الأمير وسط الوسط، وقد تبع الإمام الأمير علماء، وكثر في الاهتمام الزائد بعلم الحديث، وأظهروا مزية المذهب الزيدي في اتساع صدره ورحابة ميدانه، وأنه أنجب وقبل من خالف بعض مبادئه، أو اشتد في نقده، وهذه هي طبيعة الدين الحنيف في تسامحه وبُعد نظره.(٣٥)

الخاتمة

يمكن تلخيص أمر ما حض إليه هذا الفصل بما يلي:

١- المذهب الزيدي القائم علىٰ الاجتهاد له معالم وخطوط عريضة، كعقيدة العدل، والتوحيد، والوعد، والوعيد، والإمامة، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وقد حاولنا تلخيص هذه المعالم فيما سبق.

٢- انتشر المذهب الزيدي في الحجاز، وشمال إيران، والعراق، وانحسر أخيراً في شمال اليمن.

٣- بعد الحالة المتردية وتعطيل أحكام الشريعة من قبل الولاة العثمانيين نهض القاسم بن محمد للقيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عن طريق ادعاء الإمامة، ومن أهم ملامح تجديد الفكر عند القاسم بن محمد:

أ- محاربة البدع والخرافات.

ب- معرفته الواسعة بما عند الآخرين من خلال كتابه (الأساس)، الذي يُعد من أهم كتب الزيدية في أصول الدين، والذي ضمنه آراء الغير، ودحض فيه شُبه المجسمة، والمجبرة، والحشوية.

ت- من خلال كتابه (الاعتصام) دعا وعمل علىٰ وجوب التمسك بحبل الله، والتوحد، وحرمة التشرذم، وهي سمة عامة في كتبه، وجمع في الكتاب أهم المسائل الفقهية المعتمدة لدىٰ الزيدية وعضدها بالأدلة المروية من دواوين السنة، فبرهن بطريقته بأن المذهب يصلح جسرًا لتلاقي الأمة.

ث- من خلال كتاب (الإرشاد إلىٰ سبيل الرشاد) دعا إلىٰ التوحد، وبيَّن حكم الاختلاف في الدين، وأن سبب التفرق الجمود والتحجر، وإغلاق باب الاجتهاد.

٤- يعد الشرفي تلميذ القاسم من خلال شرحه لكتاب «الأساس»، مثال الانفتاح علىٰ الآخرين، فهو يعد موسوعة كلامية لأغلب الطوائف الإسلامية جماعات وأفراداً، بل بما عند الفرق الإنسانية، كفلاسفة اليونان، وتمكنه من تحليل الآراء الإسلامية والإنسانية.

٥- من خلال كتابه (اللآلئ المضيئة) يعتبر الشرفي أول من جمع بين منهج التاريخ العام، ومنهج التاريخ الخاص للزيدية، بالإضافة إلىٰ امتلاكه رؤية واسعة في نقده للحكام أيًّا كانوا.

٦- أحدث محمد بن إسماعيل الأمير توازنًا داخل المدرسة الزيدية من خلال التحقيق لكتب الحديث، واهتمامه بطريقة المحدثين، وبمصطلح الحديث. وقد مزج بين طريقة المحدثين عند دراسته للحديث وبين طريقة أئمة آل البيت، وخاصة فيما يتعلق بالعرض علىٰ القرآن، فمن خلال كتابه (سبل السلام) مزج بين المنهجين، وذكر فيه آراء العلماء والأئمة، وتوصل في أغلب المسائل إلىٰ رأي في مقاصد الشريعة. وبذلك مَثَّل التشيع المعتدل من خلال (الروضة الندية شرح التحفة العلوية).

المراجع

(١) ذهب الأشعرية إلى أن صفات الله زائدة على ذاته، ويقولون: بأنها قديمة أزلية، فقد ذهبوا إلى أن الله تعالى حي بحياة، وقادر بقدرة، وعالم بعلم، وسميع بسمع، وبصير ببصر، ومريد بإرادة، ومتكلم بكلام. انظر:

- الأشعري، أبو الحسن. الإبانة عن أصول الديانة، تحقيق: فوقية محمود، القاهرة: دار الأنصار، ط١، ١٩٧٧م، ص١٤٣-١٤٩.
- الأشعري، علي بن إسماعيل. رسالة إلى أهل الثغر، بيروت: مؤسسة علوم القرآن، ط١، ١٩٨٨م، ص٤-٢١.
- الإيجي، عبد الرحمن بن أحمد. كتاب المواقف، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، بيروت: دار الجيل، ط١، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، ج٣، ص٦٨.
- ابن حنبل، عبد الله بن أحمد. كتاب السنة، تحقيق: محمد القحطاني، جدة: رمادي للنشر، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، ج٢، ص٢٨٠ وما بعدها.
- التفتازاني، سعد الدين واسمه (مسعود بن عمر). شرح المقاصد، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، بيروت: عالم الكتب، ط٢، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، ج٤، ص٧٠.
- ابن قيم الجوزي، محمد بن أبي بكر بن أيوب، بدائع الفوائد في بيان أقسام صفة الرب، بيروت: دار الكتاب العربي، ط١، ٢٠٠٠م، ج١، ص١٧٥-١٧٨.

(٢) ابن القاسم، يحيى بن الحسين. المجموعة الفاخرة، (مجموع كتب ورسائل الإمام الهادي)، صنعاء: دار الحكمة اليمانية، ط١، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، (كتاب العدل والتوحيد)، ص٧٩، (كتاب أصول الدين)، ص١٣٣، (كتاب المسترشد في التوحيد)، ص١٨٩. مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم بن إبراهيم الرسي، (العدل والتوحيد) تحقيق: عبد الكريم جدبان،: دار الحكمة اليمانية، ط١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م. ج٢، ص٥٨٤.

- المعتزلي، القاسم بن محمد بن علي. كتاب الأساس لعقائد الأكياس، صعدة: مكتبة التراث الإسلامي، ط٢، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م، ص١٣٧.
- ابن بدر الدين، الحسين. ينابيع النصيحة في العقائد الصحيحة، تحقيق: المرتضى بن زيد المحطوري، صنعاء: مكتبة بدر، ط٢، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ص٤٥-٥٤.
- القاسمي، شمس الإسلام أحمد بن محمد بن صلاح الشرفي. عدة الأكياس في شرح معاني الأساس، صنعاء: دار الحكمة اليمانية، ط١، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، ج١، ص١١٩.
- الرصاص، أحمد بن الحسن. مصباح العلوم في معرفة الحي القيوم، تحقيق: المرتضى بن زيد المحظوري، صنعاء: مكتبة بدر، ط١، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، ص٢١.

(٣) ذهب الأشاعرة ومن إليهم إلى ثبوت الرؤية لله تعالى يوم القيامة، وما ذكر من الصفات يحملونها على الظاهر، بل ذهب بعضهم إلى تشبيه الله بصورة آدم. انظر:

- الأشعري، الإبانة عن أصول الديانة، مرجع سابق، ص٣٥-٦٢.
- الرازي، فخر الدين. مفاتيح الغيب، بيروت: دار إحياء التراث،، ٢٠٠٠م، مج١١، ج٢١، ١٧٨.
- ابن خزيمة، محمد ابن إسحاق. كتاب التوحيد وإثبات صفة الرب، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٢هـ/١٩٨٣م، ص١٦٧ وما بعدها.
- ابن حنبل، كتاب السنة، مرجع سابق، ج١، ص٢٢٩-٢٨٠.
- التفتازاني، شرح المقاصد، مرجع سابق، ج٤، ص٣٩ وما بعدها.
- البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين. الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد، تحقيق: عبد الله درويش، بيروت: اليمامة، ط١، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، ص٢١٥-٢٢٨.
- الدمشقي، علي بن علي بن محمد بن أبي العز. شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق عبد الله التركي، وشعيب الأرناؤوط، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤١١هـ/١٩٩٠م، ج١، ص٢٠٦-٢٢٢.
- السقاف، حسن بن علي. شرح العقيدة الطحاوية، دمشق: دار الإمام النووي، ط١، ١٩٩٥م، ص٢٨٢-٢٩٠.

(٤) الأشعري، الإبانة عن أصول الديانة، مرجع سابق، ص١٥. ٢٢٥-٢٣٩. انظر أيضاً:

- الإيجي، كتاب المواقف، مرجع سابق، ج٣، ص٧١٢.
- ابن حنبل، كتاب السنة، مرجع سابق، ج٢، ص٣٨٥-٤٢٢.
- الرازي، فخر الدين. القضاء والقدر، تحقيق: محمد المعتصم البغدادي، بيروت: دار الكتاب العربي، ط١، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، ص٣٢ وما بعدها.

(٥) مجموع كتب ورسائل الإمام زيد، مرجع سابق، (الجواب علىٰ المجبرة)، ص٢١٥-٢١٧. انظر أيضاً:
- مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم، مرجع سابق، (العدل والتوحيد)، ص٥٩٩-٦١٠.
- ابن القاسم، المجموعة الفاخرة، مرجع سابق، (أصول الدين)، ص١٣٢.
- ابن بدر الدين، ينابيع النصيحة في العقائد الصحيحة، مرجع سابق، ص١٤٨-١٨٣.
- المعتزلي، كتاب الأساس لعقائد الأكياس، مرجع سابق، ص٩٧-١٠٢.

(٦) ذهب الأشاعرة ومن إليهم إلىٰ ثبوت الشفاعة لأهل الكبائر. ينظر:
- الأشعري، الإبانة عن أصول الديانة، مرجع سابق، ص٢٧، ٢٤٥.
- الإيجي، كتاب المواقف، مرجع سابق، ج٣، ص٥٠٨.
- التفتازاني، شرح المقاصد، مرجع سابق، ج٥، ص١٥٧.
- ابن خزيمة، كتاب التوحيد وإثبات صفة الرب، مرجع سابق، ص٢٤١-٢٧٠.
- البيهقي، الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد، مرجع سابق، ص٣٢٠.
- الدمشقي، شرح العقيدة الطحاوية، مرجع سابق، ج٢، ص٢٩٠-٢٩٧.

(٧) والحديث الذي رُوي «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي» مكذوبٌ. وقد جزم بذلك الذهبي في:
- الذهبي، عبد الحي بن أحمد. الميزان، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ٢٠٠٠م، ج١، ص٤٦٦. حيث قال في ترجمة صديق بن سعيد الصُّونَاخي التركي، عن محمد بن بصير المروزي، عن يحيىٰ، عن مالك، عن نافع، عن ابن عمر مرفوعًا: "شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي" هذا لم يَرْوِهِ هؤلاء قط، لكن رواه عن صديق من يُجْهَلُ حاله: أحمد بن عبدالله السرسي فما أدري مَنْ وَضَعَهُ. رقم الترجمة ٣٨٢٨. ومع حكم الذهبي بوضعه، ودلالة الحديث بمتنه وسنده علىٰ عدم صحته: فقد ورد في كتب الحديث المشهورة، مثل:
- الترمذي، محمد بن عيسىٰ، سنن الترمذي، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٨م، ج٤، ص٥٣٩.
- النيسابوري، محمد بن عبد الله، الحاكم. المستدرك، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٢م، ج٢، ص٣٨٢. وقال: هذا حديث صحيح وعلىٰ شرط الشيخين ولم يخرجاه،وقد خرجه غيره بنفس اللفظ، وألفاظ أخرىٰ متعددة. والحديث الصحيح هو: «شفاعتي ليست لأهل الكبائر من أمتي» وقد رُوي عن الحسن البصري (مرسلاً، ومراسيلُه عن الإمام علي عليه السلام، كما ذكره المزي في:
- المزي، يوسف بن عبد الرحمن. تهذيب الكمال، بيروت: مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٠، ج٦، ص١٢٤. حيث قال عن يونس بن عبيد، قال: سألت الحسن قلت: يا أبا سعيد إنك تقول: قال رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم، وإنك لم تُدركه ؟ قال: يابن أخي لقد سألتني عن شيء ما سألني عنه أَحَدٌ قبلَكَ ولولا منـزلُتك منِّي لما أخبرتُك، إني في زمان كما ترىٰ - وكان في عَمَل الحجاج - كل شيء سمعتني أقول: قال رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم فهو عن علي عليه السلام، غير أني في زمان لا أستطيع أن أذكر عليًا). والقولُ بالشفاعة للمجرمين من أهل الكبائر هدمٌ للإسلام جملة وتفصيلاً، فافعل ما شئت، فأنت علىٰ موعد مع الشفاعة أيُّ كذبٍ هذا؟ وها أنا أسوق جملة من الأحاديث الشريفة تُحَرِّم الشفاعة علىٰ كثير من مرتكبي الكبائر: فقد رُوي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: قال رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم: "لا يدخل الجنة مدمن خمر، ولا عاقّ، ولا منان". انظر:
- الطبراني، سليمان بن محمد، المعجم الأوسط، القاهرة: دار الحرمين، ٢٠٠٢م، ١٨ / ١برقم ٢٣٣٥. وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم: "ثلاث حرم الله تبارك وتعالىٰ عليهم الجنة مدمن خمر والعاق والديوث الذي يُقِرُّ في أهله الخبيث". انظر:
- ابن حنبل، أحمد بن محمد. المسند، بيروت: مؤسسة الرسالة، ٢٠٠١م،٣٥١/٢ رقم ٥٣٧٢.
- النسائي، أحمد بن شعيب، سنن النسائي، حلب، مكتبة المطبوعات، ط٢، ١٩٨٩م، ٨٠/٥ برقم ٢٥٦٢. وعن أبي موسىٰ قال: قال رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم: «ثلاثة لا يدخلون الجنة مدمن خمر، وقاطع رحم، ومُصَدِّقٍ بالسحر»، انظر:
- ابن حنبل ، أحمد بن محمد ، المسند ، ج٧ رقم ١٩٥٨٦. وعن عمار بن ياسر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم: «ثلاثة لا يدخلون الجنة أبدًا: الديوث، والراجلة من النسآء، ومدمن الخمر»، انظر:
-الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد. المعجم الأوسط، مكتبة

المعارف، ١٩٨٥م، ٣/٥ رقم ٢٤٤٣. وعن عبدالله بن عمرو ابن العاص قال: قال رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم: «من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة»، انظر:

- البخاري، محمد بن إسماعيل. صحيح البخاري، مصر: دار طوق النجاة، ط١، ٢٠٠٢م، ٣ / ١١٥٤ برقم ٢٩٩٥. وقال رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم: «لا يدخل الجنة قاطع رحم»، انظر:
- الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد. المعجم الأوسط، مرجع سابق، ٤/ ٣٢ برقم ٣٥٣٧.
- الطبراني، سليمان بن أحمد. المعجم الكبير، مكتبة ابن تيمية، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، ص٣٠٢ رقم ١٣١٨٠. وعن عبدالله ابن عمر قال: قال رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم: «ثلاثة لا يدخلون الجنة: العاق لوالديه، والديوث، والمرأة المترجلة تشبه بالرجال»...إلخ. وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم: «من تردىٰ من جبل فقتل نفسه فهو في نار جهنم يتردىٰ فيها خالدًا مخلدًا فيها أبدًا»...إلخ. انظر:
- البخاري، محمد بن إسماعيل. صحيح البخاري، مرجع سابق، ٥/ ٢١٧٩برقم ٥٤٤٢.
- مسلم ، مسلم بن الحجاج. صحيح مسلم ، بيروت: دار إحياء التراث، ط١ ، ٢٠٠٠م، ١/ ١٠٣. وقوله صلىٰ الله عليه وآله وسلم: «صنفان من أمتي لا تنالهم شفاعتي: إمام ظلوم غشوم، ومارق غال». انظر:
- الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد، المعجم الأوسط، مرجع سابق، ١/٢٠٠ رقم٦٤٠. وقال في: مجمع الزوائد ٥/٢٣٥: رجاله ثقات. وعن أبي بكر قال: قال رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم: «لا يدخل الجنة جسدٌ غُذِّيَ من الحرام»، انظر:
- الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد، المعجم الأوسط ، مرجع سابق، ٦ / ١١٣ برقم ٥٩٦١. وقال صلىٰ الله عليه وآله وسلم: «لا يدخل الجنة قتّات»، والقتات: النمام. انظر:
- الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد، المعجم الأوسط ، مرجع سابق، ٤/٢٧٨ رقم ٤١٩٢.

(٨) مجموع كتب ورسائل الإمام زيد، مرجع سابق، (كتاب الإيمان)، ص١٦٨. انظر أيضاً:
- ابن سليمان، شرح الرسالة الناصحة بالأدلة الواضحة، مرجع سابق، ص٢٠٦-٢٠٩.
- ابن بدر الدين، ينابيع النصيحة في العقائد الصحيحة، مرجع سابق، ص٥١١-٥١٤.
- المعتزلي، كتاب الأساس لعقائد الأكياس، مرجع سابق، ص١٩٦.

(٩) الأشعري، الإبانة عن أصول الديانة، مرجع سابق، ص٢٤٥. انظر أيضاً:
- الإيجي، كتاب المواقف، مرجع سابق، ج٣، ص٤٩٠-١٩٢.
- التفتازاني، شرح المقاصد، مرجع سابق، ج٥، ص٣١٢.
- ابن خزيمة، كتاب التوحيد وإثبات صفة الرب، مرجع سابق، ص٢٨٢-٣٠٢.
- البيهقي، الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد، مرجع سابق، ص٢٠٨-٣٢٢.

(١٠) مجموع كتب ورسائل الإمام زيد، مرجع سابق، (كتاب الإيمان)، ص١٣٠. انظر أيضاً:
- ابن سليمان، شرح الرسالة الناصحة بالأدلة الواضحة، مرجع سابق، ص٢٠٦-٢٠٩.
- ابن بدر الدين، ينابيع النصيحة في العقائد الصحيحة، مرجع سابق، ص٥١١.
- المعتزلي، كتاب الأساس لعقائد الأكياس، مرجع سابق، ص١٩٦.
- ابن القاسم، المجموعة الفاخرة، مرجع سابق، (المنـزلة بين المنـزلتين)، ص٦٨-٧٠.

(١١) المعتزلي، كتاب الأساس لعقائد الأكياس، مرجع سابق، ص١٥٤. انظر أيضاً:
- القاسمي، عدة الأكياس في شرح معاني الأساس، مرجع سابق، ج٢، ص١٢٠-١٣٥.
- ابن مفتاح، أبو الحسن عبد الله. شرح الأزهار، صعدة: مكتبة التراث الإسلامي، ط١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٣م، ج١٠، ص٤١٢-٤٢٠.
- ابن سليمان، شرح الرسالة الناصحة بالأدلة الواضحة، مرجع سابق، ص٢٦٧.

(١٢) مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم، مرجع سابق، (العدل والتوحيد)، ص١١١-١١٣. انظر أيضاً:
- مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم، مرجع سابق، (الناسخ والمنسوخ)، ص٦٠-٦٦.
- المعتزلي، كتاب الأساس لعقائد الأكياس، مرجع سابق، ص١٣٣-١٣٤.

(١٣) مجموع كتب ورسائل الإمام زيد، مرجع سابق، (الرسالة المدنية)، ص٥٧٨. انظر أيضاً:

- ابن القاسم، المجموعة الفاخرة، مرجع سابق، (كتاب القياس)، ص٥٧٨. وحديث العرض رواه أبو الفتح الديلمي في:
- الطبراني، سليمان بن أحمد، المعجم الكبير، مرجع سابق ، ٩٧/٢ رقم ١٤٢٩.
- الهيثمي، علي بن أبي بكر بن سليمان. مجمع الزوائد، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠١م، تحقيق : محمد عبد القادر أحمد، عنه ١٧/١، عن ثوبان.
- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، الجامع الصغير، القاهرة: دار إحياء الكتب،ط١، ١٩٥٤م، ٧٤/١ رقم ١١٥١.
- الطبراني، سليمان بن أحمد، المعجم الكبير، مرجع سابق، ١٢/ ٣١٦ رقم ١٣٢٢٤ عن ابن عمر.
- الخطيب البغدادي، أحمد بن علي. الكفاية في علم الرواية، القاهرة: دار الكتب الحديثة،١٩٧٢م، ١٣٠/١،
- ابن عساكر، القاسم بن علي بن هبة. تاريخ دمشق، بيروت: دار الفكر، ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، ج٧٧، ص٥٥٤ عن علي.

(١٤) مجموع كتب ورسائل الإمام زيد، مرجع سابق، (رسالة الإمام زيد إلىٰ علماء الأمة)، ص٢٢٩. انظر أيضاً:
- ابن سليمان، شرح الرسالة الناصحة بالأدلة الواضحة، مرجع سابق، ص٢١٣.
- ابن بدر الدين، ينابيع النصيحة في العقائد الصحيحة، مرجع سابق، ص٤٨٧-٤٩١.
- ابن القاسم، يحيىٰ بن الحسين. الأحكام في الحلال والحرام، ط١، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، ج٢، ص٥٤٠.

(١٥) ابن القاسم، الأحكام في الحلال والحرام، مرجع سابق، ج٢، ص٥٢٤. انظر أيضاً:
- ابن أبي طالب، علي. نهج البلاغة، بيروت: مؤسسة المعارف، ط١، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، ص٦١٣.

(١٦) ابن عساكر، تاريخ دمشق، مرجع سابق، ج٤٢، ص٢٩٧. انظر أيضاً:
- ابن أبي الحديد. شرح نهج البلاغة، تحقيق: حسن تميم، بيروت: مكتبة الحياة، ١٩٦٣م، ج٥، ص٨٨١.
- الكوفي، محمد بن سليمان. مناقب الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، قم: مجموعة إحياء الثقافة الإسلامية، ط١، ١٤١٢هـ، ج٢، رقم٧٤٧، ص٢٨٣.

(١٧) الطبري، محب الدين، ذخائر العقبى، القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٩٣٤م، ص٩٢. انظر: أيضاً:
- ابن حنبل، أحمد. المسند، مرجع سابق، ج١، حديث رقم ١٣٧٦، ص٣٣٦.

(١٨) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير. تاريخ الطبري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت: مكتبة دار التراث، ط٢، ١٩٩٢م ج٧، ص٥٣٩ وما بعدها. انظر أيضاً:
- الأصفهاني، أبو الفرج. مقاتل الطالبين، شرح وتحقيق: السيد أحمد صقر، بيروت: مؤسسة الأعلمي، ط٣، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م، ص١٧٣ وما بعدها.

(١٩) الطبري، تاريخ الطبري، مرجع سابق، ج٧، ص٥٤٩. انظر أيضاً:
- الأصفهاني، مقاتل الطالبين، مرجع سابق، ص١٧٣.

(٢٠) الطبري، تاريخ الطبري، مرجع سابق، ج٧، ص٥٤٦. انظر أيضاً:
- الأصفهاني، مقاتل الطالبين، مرجع سابق، ص١٨١.

(٢١) شرف الدين، علي بن عبد الكريم الفضيل. الزيدية نظرية وتطبيق، الأردن: جمعية عمال المطابع التعاونية، ط١، ١٤٠٥ه/١٩٨٥م، ص١٣٤-١٤٠.

(٢٢) ولد بقرية الشاهل بلاد الشرفين حجة، وهي قرية جدي الإمام أحمد بن محمد الشرفي (ت: ٩٦٧ه)، وهي بيئة علم وتقوىٰ، وشمر منذ الصبا في طلب العلم بهمة أمضىٰ من القضا وتتبع العلماء ينهل من علمهم أينما وجدهم حتىٰ صار وحيد زمانه. أما نسبه فهو القاسم بن محمد بن علي بن محمد بن علي بن الرشيد.

(٢٣) الجرموزي، المطهر بن محمد، النبذة المشيرة إلى جمل من عيون السيرة، (د.م) مكتبة اليمن الكبرىٰ، ١٩٩٠م، (خ) ص ٨٨.

(٢٤) الشوكاني، محمد بن علي. البدر الطالع، بيروت: دار المعرفة للطباعة، ط١ ، ١٩٩٠م، ج١، ص١٣٥. في ترجمة إسحاق العبدي، وفي ج٢، ص٤٨٠. وفي ترجمة القاسم بالكردي، بينما ذكر محقق الأساس الكبير أحمد عطاء الله عارف اسمه ص٢١، فقال: الذي رد علىٰ الأساس يدعىٰ عبد الوهاب بن أبي عبد الله بن أبي عبد الله بن أبي الحسن الكنجوي، وعرف الكتاب بقوله: كتب الكنجوي رده علىٰ الأساس منه ١٩٠٥ه، ويقع في مجلد واحد، وهو مخطوط بدار الكتب المصرية ميكروفلم رقم ٣٩٠٦٥.

(٢٥) حديث الثقلين من الأحاديث المتواترة فقد رواه:
- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم. الفتاوى الكبرى، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٨٧م، ٢٨/ ٤٩٣.

- الهيثمي، أحمد بن محمد. الصواعق المرسلة، لبنان: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٩٨٣م، ص ١٤٩.
- ابن علي، الإمام زيد. المجموع، مكتبة التراث والبحوث اليمني، ١٩٩٢م، ٤٠٤.
- ابن القاسم، الأحكام في الحلال والحرام، مرجع سابق، ج١، ص٤٠.
- ابن علي، الاعتصام بحبل الله المتين، مرجع سابق، ج١، ص١٢٣ وما بعدها.
- مسلم ، بن الحجاج ، صحيح مسلم ، مرجع سابق، ٤/ ١٨٧٣ رقم ٢٤٠٨ عن زيد بن أرقم.
- الترمذي، محمد بن عيسىٰ ،سنن الترمذي ، مرجع سابق،٥/ ٦٢١ رقم ٣٧٨٦ عن جابر بن عبد الله.
- ابن حنبل ، أحمد، المسند، مرجع سابق، ٤/ ٣٧ رقم ١١١٣١ عن أبي سعيد و٤/ ٣٠ رقم ١١١٠٤ عن أبي سعيد، ٧/ ٨٤ رقم ١٩٣٣٢، ٨/ ١٣٨ رقم ٢١٦٣٤ ١٥٤ رقم ٢١٧١٢ عن زيد ابن ثابت، ٤/ ٥٤ رقم ١١٢١١، ٤/ ١١٨٢ ورقم ١١٥٦.
- ابن حنبل ، أحمد بن محمد، فضائل الصحابة، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط١ ، ١٩٨٣م، ٢/ ٩٧٨، ١٣٨٢، ١٣٨٣، ٧٤٧ رقم ١٠٣٢.
- الطبراني، سليمان بن أحمد، المعجم الأوسط، مرجع سابق، ٣/ ٣٧٤ رقم ٣٤٣٩، ٤/ ٣٣ رقم ٣٥٤٢.
- البيهقي، أبي بكر أحمد بن الحسين. الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد ، مرجع سابق، ٢/ ١٤٨، ٣/ ٣٠، ١٠ / ١١٤.
- ابن خزيمة، محمد بن إسحق ، صحيح ابن خزيمة، بيروت: المكتب الإسلامي، ط١ ، ٢٠٠٠م، ٤/ ٣٦ رقم ٢٣٥٧.
- الطبراني، سليمان بن أحمد، المعجم الكبير، مرجع سابق، ٥/ ١٥٣ رقم ٤٩٢٣، ٤٩٢١.
-الطبراني، سليمان بن أحمد، المعجم الصغير، مرجع سابق ١/ ١٥٠، ص ١٥٣.
- ابن كثير ، إسماعيل بن عمر. البداية والنهاية، دمشق: دار الفكر، ١٩٨٦ ، ٥/ ٢٢٨ وقال: قال شيخنا أبو عبد الله الذهبي: وهذا حديث صحيح.

(٢٦) النبذة المشيرة في جمل من عيون السيرة (سيرة الإمام القاسم)، مرجع سابق، انظر أيضاً:
- المداح، أميرة علي. العثمانيون والإمام القاسم محمد بن علي في اليمن، جده: مكتبة تهامة، ط١، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م،
- المؤيدي، مجد الدين بن محمد بن منصور. التحف شرح الزلف، صنعاء: مكتبة بدر، ط٣، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، ص٣٢٠.
- ابن علي، القاسم بن محمد. الإرشاد إلى سبيل الرشاد: بحث في حكم الاختلاف في الدين، صنعاء: دار الحكمة اليمانية، ط١، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م،
- الوجيه، عبد السلام عباس. أعلام المؤلفين الزيدية، صنعاء: مؤسسة الإمام زيد، ط١، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، ص٧٧٧-٧٨٢.
- الشوكاني، البدر الطالع، مرجع سابق، ج٢، ص٤٧.
- الزركلي، خير الدين بن محمود. الأعلام، بيروت: دار العلم للملايين، ط١٥، ٢٠٠٢م، ١٨٢/٥.
- مطمح الآمال، مرجع سابق، ص ٢٧٨.
- الزركلي، خير الدين. الأعلام، بيروت: دار العلم للملايين، ط٦، ١٩٨٤م، ج٦، ص١٧.

(٢٧) قصيدة البسامة من نظم العالم المجتهد صارم الدين إبراهيم بن محمد الوزير (توفي٩١٤هـ) أرخ فيها للأئمة الزيديين إلى سنة ٩٠١هـ في نحو (٢٤٠) بيتاً، وقد حظيت القصيدة باهتمام الكثير من العلماء، فمنهم من شرحها، ومنهم من ذيَّلها، ومنهم من جمع بين الأمرين.

(٢٨) اللآلئ المضيئة في أخبار أئمة الزيدية (مخطوط)، انظر أيضاً:
- القاسمي، عدة الأكياس في شرح معاني الأساس، مرجع سابق، المقدمة.
- ابن أبي الرجال، أحمد بن صالح. مطلع البدور ومجمع البحور في تراجم رجال الزيدية، تحقيق: عبد الرقيب حجر، صعدة: مركز أهل البيت للدراسات الإسلامية، ط١، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ج١، رقم ٢١٦، ص٤٤١.
- الشوكاني، البدر الطالع، مرجع سابق، ج١، ص١١٩.
- زبارة، محمد بن محمد. نشر العرف، اليمن: مركز الدراسات والبحوث اليمني، ط٢، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م، ج١، ص٦٧.
- الحنفي، عبد القادر بن محمد، الجواهر المضيئة، كراتشي، مير محمد كتب خانه ، ١٩٧٠م، ص١٦ — خ.
- مؤلفات الزيدية ج١/٥٠٠، ج٢/١٨٤، ٢٠٩، ٢٥٦، ٣٩٧.

(٢٩) الصنعاني، محمد بن إسماعيل. الروضة الندية شرح التحفة العلوية، تحقيق: المرتضىٰ بن زيد المحظوري الحسني، صنعاء: مطبعة بدر، ط١، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، المقدمة. انظر أيضاً:
- زبارة، نشر العرف، مرجع سابق، ج٢، ص٥٠٥.
- الجواهر المضيئة، مصدر سابق، ص ٨٣.
- الشوكاني، البدر الطالع، مرجع سابق، ج٢، ص١٣٢.
- الصنعاني، محمد بن إسماعيل. سبل السلام شرح بلوغ المرام من جمع أدلة الأحكام، بيروت: دار الكتاب العربي، ط٢، ١٩٩٩م، المقدمة.